

اسم المقال: أبو تمام بين ابن المعتز وأبي بكر الصولي
اسم الكاتب: عمر حسن العامري، محمد عيسى الحوراني
رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/8972>
تاريخ الاسترداد: 2026/04/11 11:39 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>

مجلة جامعة الشارقة

دورية علمية محكمة

للعلم
الإنسانية
والاجتماعية



UNIVERSITY OF SHARJAH جامعة الشارقة

المجلد 15، العدد 2

ربيع الثاني 1440 هـ / ديسمبر 2018 م

التقديم الدولي المعياري للدوريات 1996-2339



أبو تمام بين ابن المعتز وأبي بكر الصولي

عمر حسن العامري

كلية القانون الكويتية العالمية

مدينة الكويت - الكويت

محمد عيسى الحوراني

كلية التربية والعلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة العين للعلوم والتكنولوجيا

أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة

تاريخ القبول: 2017-03-06

تاريخ الاستلام: 2017-01-15

ملخص البحث:

يعمد هذا البحث إلى تقديم صورة الشاعر أبي تمام في نظر ناقدَيْن كبيرَيْن هما ابن المعتز وأبو بكر الصولي. فقد شكّل أبو تمام علامة بارزة في مسيرة أدبنا العربي القديم، بلغت ذروتها في القرنين الثالث والرابع الهجريين. وهو شاعر إشكاليّ، أسهم أيّما إسهام في تنشيط الحراك النقدي، بانتهاجه طريقة التجديد والبديع والخروج (التجديد) على عمود الشعر العربي، الذي اتخذه النقاد العرب القدامى معياراً يقيسون به جيّد الشعر من رديئه، فكلما كان نصيب الشاعر منه أكثر، والتزامه به أشدّ، علا شأنه، وارتفع شأوه، وتبوأ عندهم منزلة فضلى.

الكلمات الدالة: أبو تمام، مذهبه، ابن المعتز، الصولي.





مقدمة:

لما كان غرض البحث هو الوقوف على تقديم صورة الشاعر أبي تمام في نظر ابن المعتز وأبي بكر الصولي فقد انتظم في مقدمة وتمهيد وثلاثة محاور. ألعنا في التمهيد لحياة الرجل وشعره. ثم جاءت المحاور الثلاثة على النحو الآتي:

المحور الأول: موقف عبد الله بن المعتز من أبي تمام، ممثلاً بموقفه من السرقات، ومن البديع، ومن قضية اللفظ والمعنى، ومن ابتداءاته. وتناول هذا المحور، كذلك، الحديث عن تطور آراء ابن المعتز النقدية بأبي تمام، وآراء بعض من حاولوا تحليل هذا التطور الذي بدا وكأنه تضارب.

أما المحور الثاني بعنوان «موقف الصولي من أبي تمام»، فتحدث فيه الباحثان عن غير قضية أهمها: موقف الصولي من السرقات، وموقفه من قضية اللفظ والمعنى، وفصله بين الشعر والدين، ثم تعصبه لأبي تمام، ومنهجه في الرد على العائين عليه.

وجاء المحور الأخير ليلخص أهم النتائج التي أسفر عنها البحث، من خلال النظر في منهج الرجلين في معالجة شعر أبي تمام والحكم عليه.

وبعد، فقد بذلنا في هذا البحث قصارى الجهد ومبلغ الطاقة لتجلية صورة أبي تمام كما رآها كل من ابن المعتز وأبي بكر الصولي، فإن وُفقنا إلى ذلك فبفضل الله ومنه، وإن قَصَرنا فيكفينا أجر الاجتهاد، وفضل إطلاق العنان لبعض الأسئلة والقضايا الكُبرى، التي قد تجد من يأخذ على عاتقه النهوض بها، لكونها تحتاج إلى مزيد وقت وعميق اطلاع وطول نظر للوقوف على كنهها وحقيقتها.

تمهيد:

أبو تمام: إطلالة على حياته ومذهبه الشعري

هو حبيب بن أوس بن الحارس، ولد بقريّة جاسم، وهي إحدى قرى الجيدور، من أعمال دمشق، سنة تسعين ومائة من الهجرة (الأمدي، د.ت). يروى أن أباه كان نصرانياً يدعى «تدوس» فلما أسلم حرّفه أبو تمام إلى «أوس» وانتسب في طيء (الصولي، 1937).

كان أبو تمام حلو الكلام، غير أن في لسانه حُبسة. وكان فطنًا شديد الفطنة، قوي العارضة⁽¹⁾، حاضر البديهة. وقد وانتّه هذه الخلال ومكنته من الغوص في المعاني؛ فكان ما يزال يجدّ في أثرها حتى يصل إلى ما يعسر على غيره متناولها (الأمدي، د.ت).

(1) إنه لشديد العارضة أي شديد الناحية ذو جَلَدٍ وصَرامةٍ. (انظر: لسان العرب، مادة «عرض»).



توفي أبو تمام بالموصل سنة إحدى وثلاثين ومائتين (الأمدي، د.ت)، وقيل سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (الصولي، 1937).

مذهبه الشعري:

كان لأبي تمام مذهب في المطابق والمجانس اشتهر به، ونُسب إليه. وهذا المذهب لم يُنسب إليه لأنه اخترعه؛ فقد طرقة الشعراء من قبله، وقالوا منه، ولكنّه نسب إليه وعُرف هو به لأنه فضّل الشعراء جميعاً فيه، وأكثر منه وسلك جميع شعبه، بل إنه كان مثار ما دار حوله من الجدل، ومن جهته انطلقت السنة الناقدین عليه، بحق أحياناً، وبغير حق أحياناً أخرى؛ ذلك بأنه بالغ في سلوك هذه السبيل وأولع بها، حتى ليندر أن يخلو بيت له منه، فأوقعه هذا الولوع في التّعسف وارتكاب متن الشطط، ولكن الذي لا شك فيه أن الجيد من شعره كثير، وأنه لا يلحق غباره في جیده (الأمدي، د.ت).

ويخص الأمدي مذهب أبي تمام الشعري في قوله إنه يسرف في طلب الطباق والتجنيس والاستعارات، ويبالغ في التماس هذه الأبواب وتوشيح شعره بها، حتى صار كثير مما أتى [به] من المعاني لا يُعرف ولا يُعلم غرضه فيها إلا مع الكدّ والفكر وطول التأمل، ومنه ما لا يعرف معناه إلا بالظن والحدس، ولو كان أخذ عفو هذه الأشياء ولم يوغل فيها، ولم يجاذب الألفاظ والمعاني مجاذبة ويقتسرها مكارهة، وتناول ما يسمح به خاطره وهو بجمامه غير متعب ولا مكود، وأورد من الاستعارات ما قرب في حسن، ولم يفحش، واقتصر من القول على ما كان محذوفاً حذو الشعراء المحسنين؛ لسلم من هذه الأشياء التي تهجن الشعر وتذهب ماءه ورونقه، ولعل ذلك أن يكون ثلث شعره أو أكثر منه - لظننته كان يتقدم عند أهل العلم بالشعر أكثر الشعراء المتأخرين، وكان قليله حينئذٍ يقوم مقام كثير غيره؛ لما فيه من لطيف المعاني ومستغرب الألفاظ، ولكنّه شره إلى إيراد كل ما جاش به خاطره ولجلجته فكره، فخلط الجيد بالرديء، والعين النادر بالردل الساقط، والصواب بالخطأ. وأفرط المتعصبون له في تفضيله، وقدموه على من هو فوقه من أجل جیده، وسامحوه في رديئه، وتجاوزوا له عن أخطائه وتأولوا له التأول البعيد فيه، وقابل المنحرفون عنه إفراطاً [بإفراط] فيخسوه حقه، واطرحوا إحسانه، ونعوا سيئاته، وقدموا عليه من هو دونه. وتجاوز ذلك بعضهم إلى القذح في الجيد من شعره، وطعن فيما لا يطعن عليه [فيه]، واحتج بما لا تقوم حجة به (الأمدي، د.ت، 1، 125).

ويكاد يجمع النقاد على اقتدار أبي تمام على الغوص في المعاني البديعة والنادرة، كيف لا وهو المأثور عنه الذكاء والفتنة وحضور البديهة وسعة العلم وتنوع الثقافة، كل ذلك أسهم في تشكيل «إطاره الشعري» (بكار، 2007، 27) الذي صادف موهبة متوقدة وروحاً مستشرقة ونفساً وثابة أنتجت شاعراً فذاً ملأ الدنيا بذكره، وشغلها بفنه.



عمر حسن العامري / محمد عيسى الحوراني (202-223)

وأهم ما يميز شعر أبي تمام عمق المعاني، وإنّ البديع في شعره غالباً ما يأتي موظفاً توظيفاً صحيحاً يضيف إلى المعنى ويسهم في إثرائه وتوهجه ورونقه. وهذا الاستخدام الذي ينمّ على جذقه وجرأته كان أحد أهم الأسباب التي أثارت حفيظة كثيرين من المتعصبين عليه والمنادين بإسقاط شعره (المحارب، 1992).

يزخر شعر أبي تمام بالإشارات المختلفة إلى مصادر معانيه التي توزعت بين القرآن الكريم والتاريخ والرواية والفلسفة والعلوم وغيرها من ضروب العلم والفن والأدب التي أخذ من كل منها بطرف.

وقد عُني أبو تمام، كذلك، بالطباق عناية فائقة وشغل مساحةً واسعة من شعره. وتعد ظاهرة التّضاد في شعره من أكثر الظواهر بروزاً، فقد استخدم التناقض بين المعاني لاجتراح حالة من الصراع في الذهن تؤدي إلى المعاني المطلوبة، وقد سماها أبو تمام «بنوافر الأضداد» (المحارب، 1992، 119). يقول مخاطباً أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد:

قَد بَنَيْتُمْ عَرَسَ الْمَوَدَّةِ وَالشَّخْذِ نَاءً فِي قَلْبِ كُلِّ قَارٍ وَبَادِ
أَبْغَضُوا عَزَّكُمْ وَوَدُّوا نَدَاكُمْ فقرؤكم من بغضةٍ وودادِ
لَا عَدَمْتُمْ غَرِيبَ مَجْدٍ رَبَّقْتُمْ فِي عُرَاهُ نَوَافِرَ الْأَضْدَادِ

ولعل مسألة الغموض التي شاعت في شعر أبي تمام كانت من المسائل التي أثارت جدلاً كبيراً حول مذهبه الشعري. فالناقد القديم كان نزاعاً إلى التكتّف والوضوح. وقد حاول بعض النقاد ربط هذا الوضوح بوضوح الحياة التي كان يعيشها الشاعر العربي القديم، لهذا كان الشعر يصدر عن أفكار ومعان جاهزة... كان بتعبير آخر، ينقل معاني موجودة قبله: يفسرها، وينوع عليها. وكان القارئ، تبعاً لذلك يرى في نتاجه ما قد عرفه، سابقاً، وألفه. وكان نقده ينطلق من هذا السؤال: إلى أي حدّ تتطابق معاني هذا الشاعر مع المعاني والأشياء التي أعرّفها؟ (أدونيس، 1983) لذا كانت معاني أبي تمام مستهجنة لمخالفتها سنن الشعراء السابقين. وهذا حال كل جديد لا في الأدب حسب، بل في الحياة أيضاً.

لهذا كله، ولأشياء أخرى، انقسم الناس إزاء أبي تمام قسمين كبيرين: قسم متعصب له، يرى تجديده إبداعاً، وخروجه على عمود الشعر توسعاً وجدةً، وآخر متعصب عليه، يرى تجديده ابتداءً وخروجه انتهاكاً لمعايير الأصالة، وهؤلاء تبنوا الحديث عن عيوبه التي كانت تدور على «سرقته لبعض المعاني، وتعسّفه للاستعارة، وبعض وجوه البديع الأخرى، وفي الابتداءات البشعة، وفي استعماله لألفاظ وحشية غريبة، وفي استغلاق بعض معانيه» (عباس، 1983، 147 - 148).



موقف عبدالله بن المعتز (247 - 296هـ) من أبي تمام:

تمثلت أهميّة ابن المعتز في دراسة الشعر المحدث من خلال مؤلفيّه: «طبقات الشعراء» ورسائله «في محاسن شعر أبي تمام ومساوئه» إلى جانب كتابه «البدیع» الذي رسم به نهجاً جديداً لتذوق شعر المحدثين.

ويمثّل ابن المعتز ذهنيّة الأدباء النقاد في القرن الثالث الهجريّ، وهي «طائفة درست الأدب قديمه وحديثه، وأخذت القديم عن اللغويين والنحويين، ولكنها عُذبت بالمُحدث أشدّ من عناية هؤلاء وحفلت به، وأقبلت على تحليل عناصره، وما يجدُ فيه عهداً بعد عهد، وما بينه وبين المذهب القديم من تفاوت، تلك هي طائفة الشعراء والأدباء وعلماء الأدب. ومن أظهر الأمثلة لهؤلاء عبد الله بن المعتز، فقد كان كثير السماع، غزير الرواية، يلقي العلماء من النحويين والإخباريين، ويقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم، ولكنه كان مع ذلك بارعاً في الأدب، حسن الشعر، مهتماً بنقد المحدثين» (إبراهيم، د.ت، 112)، حتى عدّه ابن رشيق القيرواني «أنقد النقاد» (ابن رشيق، 1، 1994 - 462).

وتعد رسالة ابن المعتز في محاسن شعر أبي تمام ومساوئه أول أثر نقدي تناول شعر أبي تمام، ولعلها السبب وراء انبراء أبي بكر الصولي (335هـ) لدفاعه عن أبي تمام من خلال كتابه «أخبار أبي تمام». ويرى أحمد كمال زكي أن الأمدي استند إلى هذه الرسالة في نقد شعر أبي تمام، كما استند إليها الجرجاني في وساطته، ويُمكن أن تكون بعدُ أساساً لجميع الموازنات التي عُقدت بين أبي تمام والبحثري (زكي، د.ت).

أولاً: موقفه من سرقات أبي تمام:

احتلت قضية السرقات مساحة واسعة من النقد العربي القديم واشتغل نقاد كثيرون في درسها وتفصّلها عند الشعراء حتى ألفوا فيها كتباً و صنفوا فيها مصنفاً أُفردت للحديث عن هذه القضية. ولم ينبج ابن المعتز من هذه العدوى، فقد خاض في الكلام على سرقات أبي تمام، فقال: «وللطائي سرقات كثيرة أحسن في بعضها وأخطأ في بعضها. ولما نظرت في الكتاب الذي ألفه في اختيار الأشعار وجدته قد طوى أكثر إحسان الشعراء. وإنما سرق بعض ذلك فطوى ذكره، وجعل بعضه عدّة يرجع إليها في وقت حاجته... ولا يعذر الشاعر في سرقة حتى يزيد في إضاعة المعنى أو يأتي بأجزل من الكلام الأول، أو يسنح له بذلك معنى بفضح به ما تقدمه ولا يفتضح به وينظر إلى ما قصده نظر مستغن عنه ولا فقير إليه» (المرزباني، 1343هـ، 312)

يبدو رأي ابن المعتز، في شأن السرقات، منسجماً إلى حدّ بعيد مع آراء كثيرين من معاصريه النقاد، لكن اللافت أنه يتحدّث عن نوعين من السرقات عند أبي تمام: نوع



عمر حسن العامري / محمد عيسى الحوراني (202-223)

حسن وآخر قبيح، وكان «السرقه» عنده، وربما عند آخرين من معاصريه، ليست منقصة بحد ذاتها، إلا إذا كانت قبيحة، يجيء فيها المعنى الجديد إما مقصراً عن المعنى القديم فيمسخه، وإما مكافئاً له فلا يزيد عليه شيئاً فيذهب بريقه وروعه لكثرة تناوله فيصير مستهلكاً مبتذلاً.

ورأي ابن المعتز هذا يبدو منطقيًا وصحياً إلى حد بعيد، ذلك أن المعاني ليست حكرًا على أحد، فهي متاحة للجميع، وإنما تظهر البراعة في تناولها تأليفاً وصياغةً ونظماً وتصويراً وتخييراً ألفاظاً.

ويضمّن ابن المعتز كلامه السابق على سرقات أبي تمام تهمّة خطيرة، مفادها أن أبا تمام استثنى كثيراً من عيون شعر من اختار لهم في حماسته، كي لا يُفضح أمره وتتكشف سرقاته منهم. إن مثل هذا الرأي، في ظني، ينبغي ألا يُطلق جزافاً، بل يحتاج إلى مزيد من البحث والتقصي وإعادة النظر، لأنه إذا كان الأمر كما يقول ابن المعتز فكيف نفسّر، إذاً، التباين بين شعر أبي تمام ومختارته؟ هذا التباين الذي فسّره المرزوقي بقوله: إن أبا تمام «كان يختار ما يختار لجودته» (المرزوقي، 13:1، 1991) وكان «يقول ما يقول من الشعر بشهوته» (المرزوقي، 14:1، 1991) وشتان بين القوتين.

ويمكن رد ما ذهب إليه ابن المعتز في هذا الشأن من جانب آخر، هو أنه يتعدّر على النقاد المفاضلة الدقيقة بين قصائد لشاعر أو أكثر، بسبب تعذر إيجاد معايير قياسية ثابتة ومتماثلة يمكن اتباعها في هذا الشأن. فاختلاف الأذواق أمر بديهي. وينبغي ألا يطالب ابن المعتز أبا تمام ليكون مماثلاً له في الذوق والاختيار، فيستحسن ما يستحنه هو، ويستقبح ما يستقبحه.

ولو رجعنا إلى قصة تأليف أبي تمام حماسته⁽¹⁾ لعثرنا على دليل آخر يُضعف ما ذهب إليه ابن المعتز، فأبو تمام- كما تقول القصة- ترك مختاراته عند بني سليم زمناً طويلاً، وما أخرجوها إلا بعد أن ساءت أحوالهم، فذاع خبرها واشتهرت منذئذٍ.

ومهما يكن من أمر فإن مسألة السرقات التي استغرقت حقبة طويلة من تاريخ النقد العربي القديم طالقت معظم الشعراء، وليت نقادنا وجّهوا جهودهم التي أنفقوها في هذا

(1) كان الشاعر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، في رحلة إلى خراسان، وبينما هو في طريق عودته إلى بغداد، دخل مدينة همدان فاستضافه أبو الوفا ابن سلمة ثم نزل تلج كثير وساءت أحوال الطقس، فاضطر أبو تمام للبقاء بحيث كان. وأراد أبو الوفا ابن سلمة أن يخفف عنه، فأمدّه بكل كتب الأدب التي في خزائنه، فقصى أبو تمام وقته في عمل مختارات من الشعر العربي، منها كتاب الحماسة وكتاب الوحشيلت وظلت هذه المختارات زمناً طويلاً في حوزة آل سلمة حتى تدهورت أحوالهم واضطروا إلى إخراج هذه المختارات، فأقبل الأدباء عليها، وذاع أمرها واشتهرت من يومها. (انظر: شرح ديوان الحماسة، 1: 8).





أبو تمام بن ابن المعتز وأبي بكر الصولي (202-223)

الباب لخدمة النقد الأدبي في نواحٍ أخرى.

ثانياً: موقفه من «بديع» أبي تمام:

شكل أبو تمام «مشكلة فنية» لدى ابن المعتز كانت سبباً من الأسباب التي دعت هذا الآخر لتأليف كتاب «البديع» ليدلّ على أنّ هذا الفن موجود عند العرب وفي القرآن الكريم والحديث وكلام الصحابة، ولم ينل المحدثون قصب السبق فيه (عباس، 1983)، «غير أن حبيب ابن أوس شُغف به حتى غلب عليه، وتفرّج فيه، وأكثر منه، فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض، وتلك عقبي الإفراط، وثمره الإسراف» (ابن المعتز، كتاب البديع، 1، 1979).

وأشار ابن المعتز إلى اشتهاه أبي تمام بالبديع، وإكثاره منه في شعره، ولم يأخذ عليه استخدامه البديع مطلقاً، ولكنه استحسن بعضه ولم يستحسن بعضه الآخر. وأورد ابن المعتز في «البديع» شواهد كثيرة تمثّل الجانبين: الحسن والقيح. وتوزعت هذه الشواهد على أصناف البديع المختلفة: الاستعارة والتجنيس وردّ أعجاز الكلام على ما تقدّمها، والمطابقة وغيرها.

ومن الاستعارات التي استحسنها قول أبي تمام (ابن المعتز، كتاب البديع، 21، 1979):

مَطَرٌ يَذُوبُ الصَّحْوُ مِنْهُ وَيُعَدُّه صَحْوٌ يَكَادُ مِنَ النُّضَارَةِ يُمَطِّرُ

وقوله (ابن المعتز، كتاب البديع، 1979، 22):

أَمْطَرْتَهُمْ عَزَمَاتٍ لَوْ رَمَيْتَ بِهَا يَوْمَ الْكَرْيَةِ رَكْنَ الدَّهْرِ لِأَنَّهُمَا

حَتَّى انْتَهَكْتَ بَحْدَ السِّيفِ هَامَتَهُمْ جِزَاءَ مَا انْتَهَكُوا مِنْ قَبْلِكَ الْحُرْمَا

وأورد ابن المعتز كذلك شواهد على الاستعارة الرديئة منها (ابن المعتز، كتاب البديع، 1979، 24):

فَضْرِبْتَ الشِّتَاءَ فِي أَحْدَعِيهِ ضَرْبَةَ غَادِرْتَهُ عَوْدَا رَكُوبَا

ومما استحسنه في باب التجنيس، قول أبي تمام (ابن المعتز، كتاب البديع، 1، 1979):

رَاحَتْ لِأَرْبُعِكَ الرِّيَاحُ مَرِيضَةً وَأَصَابَ مَعْنَاكَ الْعَمَامُ الصَّيْبُ

ومن الرديء قوله (نفسه، 35):

ذَهَبَتْ بِمَذْهَبِهِ السَّمَاحَةُ فَالتَوْتُ فِيهِ الظَّنُونُ أَمْذَهَبٌ أَمْ مَذْهَبٌ





ومما استملحه في باب المطابقة قول أبي تمام (نفسه، 39):

إذا ذاقها وهي الحياة رأيتَه يقطب تقطيب المقدم للقتلِ

وأخذ عليه في هذا الباب قوله (نفسه، 47):

فيا تلج الفؤاد وكان رضفًا ويا شبيعي برويته ورئي

ويمضي ابن المعتز على هذه الوتيرة في كتابه «البيديع»، يورد أقسامه ويأتي بشواهد على حسنه وقبيحه دون أن يعطل لم استملح هذا، أو لم استقبح ذلك. على غير ما نجد في الرسالة التي أفردها لتناول شعر أبي تمام حسنه وسيئه، كما يقول.

إضافة إلى ما سبق فقد استشهد ابن المعتز في كتابه البيديع بشعر أبي تمام على أغراض بلاغية أخرى كالمذهب الكلامي والالتفات وحسن الخروج إلا أنه في جميع هذه الأغراض يسير على الطريقة التي سار عليها في بقية فصول الكتاب من حيث عدم تقديم التعليقات والأسباب، سواء في ما استحسنته أم في ما استقبحه، ولعل السبب وراء ذلك هو أنه لم ينو من تأليفه هذا الكتاب معالجة النصوص الشعرية معالجة نقدية بقدر ما أراد إثبات ريادة الأقدمين وأسبقيتهم في استخدام البيديع. فالبيديع قد وجد في القرآن الكريم وكلام الرسول- صلى الله عليه وسلم- وكلام الصحابة وأشعار الجاهليين وفي غير ذلك.

ومهما يكن من أمر فإنه يُحسب لابن المعتز وعيه لما طرأ من مستجدات على الحركة الأدبية في عصره ولا سيما حركة الشعر، فحاول البحث في هذا الطارئ من خلال شعر أبي تمام. وعلى ما في محاولته من قصور في الإحاطة بعالم أبي تمام الشعري وعلى ما فيها من أحكام نقدية لا تستند إلى معايير موضوعية بل إلى الذوق الشخصي فإنها محاولة تحسب للرجل، فقصوره مغتفر إذ إن حركة النقد الأدبي لم تكن قد استوت على سوقها آنذاك ولم تتخذ منهجًا متكاملًا وواضحًا. (كساب، 1995)

ثالثًا: موقفه من اللفظ والمعنى عند أبي تمام:

عاب ابن المعتز أبا تمام لاستعماله الألفاظ الغليظة والغريبة التي لا تتفق مع ذوق العصر الذي عاش فيه، لافتًا إلى ضرورة مراعاة البيئة التي عاش فيها الشاعر، فلا يخلط الكلمات المستوحاة من البادية والصحراء بالكلمات الحضارية، لأن ذلك سينجم عنه تفاوت في الألفاظ يؤدي إلى الخروج عن مبدأ التناسب والانسجام.

فابن المعتز لا يعيب أبا تمام لمجرد استخدامه تلك الكلمات من حيث كونها مفردات لغوية صالحة للاستعمال أم لا، وإنما يعيب عليه غرابتها وعدم انسجامها مع ما يجاورها



من ألفاظ أخرى. وكأن ابن المعتز يلتفت من خلال هذه الإلماعات إلى ضرورة تحقق الوحدة النفسية والانطباعية للنص، ذلك أن لكل كلمة تدايعياتها النفسية والانطباعية التي ينبغي لها أن تصب في بوتقة واحدة، تشكل مقولة النص الكبرى. يتضح ذلك من خلال قوله في سياق نقده بعض أبيات لأبي تمام لاشتمالها على ألفاظ غريبة وغير مألوفة، يقول: «ولم نعب من هذه الألفاظ شيئاً، غير أنها من الغريب المصدود عنه، وليس يحسن من المحدثين استعمالها؛ لأنها لا تجاور أمثالها، ولا تتبع أشكالها؛ فكأنها تشكو الغربة في كلامهم» (المرزباني 1343هـ، 311).

ويورد ابن المعتز بعضاً من الشواهد الدالة على استخدام أبي تمام للألفاظ الغريبة وغير المألوفة منها قوله (نفسه، 310):

تقرو بأسفله ربولا غضة وتقبل أعلاه كناساً فولفاً⁽¹⁾

وقوله (نفسه³ 310):

إذا مشى يمشى الدققي أو سري وصل السرى أو سار سار وجيفا⁽²⁾

أما من حيث المعاني، فقد كان أبو تمام يأتي بها مستغلقة، أحياناً. ويورد شاهداً على ذلك قوله (نفسه، 313):

لقد وهب الإمام المال حتى لقد خفنا بأن يهب الخلافة

به عاش السماح، وكان دهوراً مع الأموات ميئاً في لفافه

رابعاً: موقفه من ابتداءات أبي تمام:

اهتم القدماء بمطالع قصائدهم إذ إنها مثلت الإطلالة الأولى على المتلقي الذي ينتظر منها أن تنقل إليه إحساساً معيناً مشفوعاً بالنشوة والمتعة، فقد عاب ابن المعتز على أبي تمام بعض ابتداءاته التي ارتأى أنها لا تناسب المقام الذي قيلت فيه، ولا المناسبة التي نظمت القصيدة من أجلها. ولعل ذلك كائن بسبب تقديم أبي تمام المحسنات البديعية، أحياناً، على المعاني فتأتي هذه الأخيرة ضعيفة مزورة عن مكانها. من ذلك قوله:

(1) يقال الإنسان يقرو الأرض، إذا سار فيها ينظر حالها وأمرها. و الربول: جمع ربل، و هو نبات يصيبه برد الليل ونداه فينبت بالمطر. والكناس: مولج للوحش من البقر والظباء تستظل. (انظر: الموشح، ص 310).

(2) الدققي: مشية سريعة. القاعصاء: جحر اليربوع الأول الذي يدخل فيه، والناقفاء: موضع يرققه من جحره فإذا أتى من قبل القاعصاء ضرب الناقفاء ففتحه.



خُشنت عليه أخت بني خُشين...

فيقول معلقاً على هذا: «وهذا الكلام لا يشبه خطاب النساء في مغازلتهم، وإنما أوقعه في ذلك محبته للتجنيس، وهو بهجاء النساء أولى» (المرزباني 1343هـ، 310).

خامساً: تضارب آرائه النقدية بأبي تمام:

نلاحظ في نقد ابن المعتز شعر أبي تمام لهجتيين متباينتين، إحداهما تبدو موضوعية علمية هادئة، مُجاملة أحياناً، تتجلى في كتابيه «البديع» و«طبقات الشعراء»، وأخرى متحاملة جلفة فظة تعسفية تتضح في رسالته «في محاسن أبي تمام ومساوئه».

ففي الرسالة، التي لم يصل إلينا منها سوى أجزاء ماثوثة في بعض كتب الأدب والنقد القديمين (المرزباني 1343هـ) تتجلى مقدره ابن المعتز النقدية، حيث يعلل ويناقش ميتعداً، ما أمكن، عن الأحكام العامة. ومما جاء في هذه الرسالة قوله: «سهّل الله عليكم سبيل الطلب، ووقاكم مكاره الزلل فيما رأيتم من تقديم بعضكم الطائي على غيره من الشعراء أمراً ظاهراً، وهو أوكد أسباب تأخير بعضكم إياه عن منزلته في الشعر، لما يدعو إلى اللجاج. فأما قولني فيه فإنه بلغ غايات الإساءة والإحسان، فكان شعره قوله:

إن كان وجهك لي تترى محاسنه فإن فعلك بي تترى مساويه

وقد جمعنا محاسن شعره ومساويه في رسالتنا هذه، فرجونا بذلك الابتداع المسهب في امتداحه، وردّ الراغب عنه إلى إنصاف، واختصرنا الكلام إيثاراً لقصده ما نزعنا إليه. وتوفيقاً لإطالة ما يكتفى بالإيجاز فيه...» (نفسه، 307).

ويبدو لنا من خلال عنوان الرسالة أن ابن المعتز لا يبتغي إلا الإنصاف والعدل والموضوعية في إيراد محاسن شعر أبي تمام ومساوئه، ويصرّح بأن أبا تمام بلغ الغاية في المحاسن كما بلغها في المساوي، وأورد شواهد كثيرة تبين معائب الرجل وإخفاقاته في «صياغة المعنى أو ابتداع الطباق أو بلوغ الهدف الذي قصده. وأتبع ملاحظات هي في جملتها شديدة القسوة مع أنها خالية من التفسير والتحليل والتعليل» (كساب، 1995، 59).

إن هذا التباين الواضح في آراء ابن المعتز في أبي تمام وشعره حدا ببعض الدارسين إلى البحث عن مسوّغات وتعليلات، فذهب إحسان عباس إلى القول إن نقد ابن المعتز لأبي تمام مرّ بمرحلتين: مرحلة تمثلها رسالة مستقلة كتبها في نقد أبي تمام⁽¹⁾، ومرحلة يمثلها كتاب «طبقات الشعراء» الذي مثّل مرحلة متأخرة في حياته (عباس، 1983، 118). ولا

(1) أورد المرزباني جزءاً كبيراً من هذه الرسالة في كتابه «الموشح» ص 303 وما بعدها.



ندري علامَ اعتمد عباس في حكمه هذا، فهل ثمة سياقات تاريخية وإشارات نقدية تلمح إلى ذلك؟ كما حدا التناقض نفسه ببعض النقاد الآخرين إلى التشكيك في نسبة أجزاء من رسالة ابن المعتز في مساوي أبي تمام، من هؤلاء عبد الله المحارب، الذي يرجح أن يكون جزء كبير من نص الرسالة في كتاب الموشح لمؤلف الكتاب نفسه لا لابن المعتز.

وينطلق المحارب في حكمه هذا من استشهاده بزكي مبارك في كتابه «النثر الفني»، إذ يورد مما جاء في الرسالة في «الموشح» قوله: «ولما نظرت في الكتاب الذي ألفه في اختيار الأشعار وجدته قد طوى أكثر إحسان الشعراء، وإنما سرق بعض ذلك وطوى ذكره وجعل بعضه عُدّة يرجع إليها في وقت حاجته، ورجاء أن يترك أكثر أهل المذاكرة أصول أشعارهم على وجوهها، ويقنعوا باختياره لهم، فتغيب عليهم سرقاته» (المرزباني 1343هـ، 312). يقول مبارك معلقاً على هذه الفقرة: «ففي هذه الفقرة تجنُّ شديد على أبي تمام، وإزراء بإحسانه في تأليف مختاراته وما أحسب خاطر الذي مرَّ بيال المرزباني مرَّ بيال ناقد شريف القصد» (مبارك، 2: 151، 1975).

ولعلَّ إشارة إحسان عباس في اعتقاده أن كتاب الطبقات لابن المعتز جاء متأخراً عن باقي كتبه تؤكد تخلي ابن المعتز عن آرائه التي بدا فيها متحاملاً على أبي تمام، فهو في «الطبقات» يمدحه ويثني عليه كل الثناء.

بعد هذا كله، يمكن أن نعدَّ ابن المعتز ناقدًا منصفًا، لكونه نقد المحاسن كما نقد المساوي، وابتعد عن الأحكام العامة، وقوم المحاسن ووزنها وعلَّها، وعرض للمساوي ونقدتها وبيّن سبب استهجانها لها (الربدائي، 1967). يعزز ذلك أنه قرظ أبا تمام وذكر كثيرًا من محاسن شعره في مواطن كثيرة، ولا سيما في قوله: «لو استقصينا ذكر أوائل قصائده الجياد التي هي عيون شعره لشغلنا قطعة من كتابنا هذا بذاك» (ابن المعتز، طبقات الشعراء، 286).

موقف الصولي من أبي تمام

تعمّق النقد في عصر الصولي، وراح الناس يفهمون ويحلّون ويحسبون في إطلاق الأحكام، كان ذلك بتأثير من الحضارة ورفي الذوق وتفقّق القريحة العربية ونضج عقليتها (العمرى، 1973).

يقوم نقد الصولي على دراسة الشعر، وتبيين مواطن الجمال والقبح والجودة والرداءة وعقد الموازنات بين الشعراء وتعليل عيوبهم وهناتهم وعرض سرقاتهم وردّها إلى مرجعياتها الأولى (العمرى، 1973). وهو ينهض بذلك متسلحاً بصفاء ذوقه وسعة علمه، فقد عُرف بسعة ثقافته وتكاملها، وكان شاعرًا وروائيًا وعارفًا بالشعر والدواوين واللغة



عمر حسن العامري / محمد عيسى الحوراني (202-223)

والنحو والبلاغة والموسيقى والغناء والتاريخ ورواية الحديث وعلوم القرآن الكريم (حسين، 1975).

أولاً: موقفه من سرقات أبي تمام:

يعترف الصولي بكثرة اتكاء المحدثين من الشعراء على الأقدمين منهم، فيقول: «اعلم- أعزك الله- أن ألفاظ المحدثين مذ عهدُ بشار إلى وقتنا هذا كالمنتقلة إلى معان أبداع، وألفاظ أقرب، وكلام أرق، وإن كان السيق للأوائل بحق الاختراع والابتداء، والطبع والاكتفاء...» ومع ذلك فالصولي يكاد لا يسلم بما نسب إلى أبي تمام من سرقات من الشعراء الذين سبقوه، فقد دافع عن سرقاته، وحاول أن يجعله فوق أن يأخذ ممن قبله، وأن يجعل إحسانه في قول الشعر وكثرة اختراعاته أمرًا يستدعي صرف هذه التهمة عنه. يقول: ولو جاز أن يُصرف عن أحدٍ من الشعراء سرقة، لوجب أن يُصرف عن أبي تمام لكثرة بديعه واختراعه واتكائه على نفسه، ولكن حكم النقاد للشعر، العلماء به، قد مضى بأن الشعارين إذا تعاورا معنىً ولفظًا أو جمعاهما، أن يجعل السبق لأقدمهما سنًا، وأولهما موتًا، وينسب الأخذ إلى المتأخر، لأن الأكثر كذا يقع، وإن كانا في عصر ألحق بأشبههما به كلامًا، فإن أشكل ذلك تركوه لهما (الصولي، 1937). وكان الصولي يحتج على سنن النقاد السابقين في أنهم اصطلحوا على هذا الأمر، وكأنه يريد أن يقول إن المعنى المطروق قد يُتناول من شاعر لاحق دون أن يكون قد اطلع على السابق فيزيد، هذا الآخر، في إحسانه ويلبسه حلة أبهى ورونقًا أحلى مما كان عليه.

وقد أظهر الصولي أن البحتري اتكأ كثيرًا في معانيه وألفاظه على أبي تمام، فقال: «ومن تبخر شعر أبي تمام وجد كلُّ مُحسِن بعده لاندًا به» (الصولي، 1937، 76) ثم استشهد بأبيات لأبي تمام وأخرى للبحتري، منها:

قول أبي تمام:

فسواء إجابتي غير داعٍ ودعائي بالقاع غير مجيبٍ

وقول البحتري:

وسألت من لا يستجيب فكنت في اسـ تخباره كمجيب من لا يسأل

ويتابع الصولي في اجتلاب الشواهد على أخذ البحتري من أبي تمام إلى أن يقول: «ولولا أن بعض أهل الأدب ألف في أخذ البحتري من أبي تمام كتابًا⁽¹⁾، لكنت قد سقت

(1) لعله يريد أبا الضياء بشر بن تميم الذي ألف كتابا في أخذ البحتري من ابي تمام، (الكلام هنا لمحقي كتاب «أخبار أبي تمام» للصولي، مرجع سابق، ص79).



كثيراً مثل ما ذكرنا» (الصولي، 1937، 79).

ويبدو أن إغراق الصولي في الحديث عن سرقات البحري من أبي تمام ليس رغبة منه في النيل من الأوّل بقدر ما هو رغبة في إظهار محاسن الآخر وتقوّقه في الغوص في المعاني وابتداعها والسبق إليها. لذا نجده يقول: ومع سرقاته هذه فإنه لم يبلغ مبلغ أبي تمام (حسين، 1975). ويتابع قائلاً على البحري: «...وهو مع ذلك يلوذ بأبي تمام في معانيه، فأبي دليل على فضل أبي تمام ورياسته يكون أقوى من هذا؟» (الصولي، 1937، 73).

ثانياً: موقفه من اللفظ والمعنى عند أبي تمام:

كان الصولي من أنصار المعنى لا اللفظ (حسين، 1975)، والإشارات إلى ذلك غير قليلة منها تعليقه لتفضيل جيد أبي تمام على جيد البحري بنفي الاختلال عن معاني أبي تمام، مغتفراً له الاختلال القليل في بعض ألفاظه (الصولي، 1937). ومن تلك الإشارات أيضاً تفضيله الشاعر الذي يكّدّ طبعه ويُعمّل فكره في استنباط المعاني (نفسه، 1937). وقوله: «وليس أحد من الشعراء - أعزك الله - يعمل المعاني ويخترعها ويتكئ على نفسه فيها أكثر من أبي تمام؛ ومتى أخذ معنى زاد عليه، وشحه ببديعه، وتمم معناه، فكان أحقّ به» (نفسه، 53).

وقد عمل الصولي جاهداً على إثبات تفوق أبي تمام في المعاني، فهو يفضّل المعاني المخترعة التي يتكئ فيها الشاعر على نفسه، وهذا ما وجده في أبي تمام إذ يقول عليه: إنه «يتعب نفسه ويكّدّ طبعه وبطيل فكره ويعمل المعاني ويستنبطها» (نفسه، 118).

مع هذا فإن الصولي يعترف ضمناً بوحدة اللفظ والمعنى وتعذر الفصل بينهما، لتصبح الجودة، عنده، في ائتلاف اللفظ والمعنى، لا في أحدهما دون الآخر. يتّضح هذا في غير قول له منها قوله: إن البحري احتذى كثيراً من معاني أبي تمام «فجذبته المعاني واضطرتّه إلى أن حكى لفظه في هذا، فصار يُشبه لفظ أبي تمام (نفسه، 74)» وكذلك قوله: «وأبو تمام لا يسقط معناه البتة، وإنما يختل في الوقت لفظه، فإذا استوى له اللفظ فهو الجيد من شعره النادر الذي لا يتعلق به أحد» (حسين، 1975، 7).

ثالثاً: فصله بين الشعر والدين:

من القضايا الكُبرى التي تناولها الصولي في سياق دفاعه عن أبي تمام قضية الفصل بين الشعر والدين. فقد ادّعى الكفر على أبي تمام⁽¹⁾، وجعل هذا الادعاء «سبباً للطعن على

(1) ملخص الحكاية أن قوما دخلوا على أبي تمام وهو يعمل شعراً، وبين يديه شعر أبي نواس ومسلم بن الوليد، فقال



عمر حسن العامري / محمد عيسى الحوراني (202-223)

شعره وتقبيح حسنه» (الصولي، 1937، 172) فردّ عنه هذه التّهمة، متوسلاً بـ «المقايسة» مبدأ كبيراً في هذا الشأن (بكار، 2007)، وبين أن لا علاقة للمعتقد بالشعر فقال: «وما ظننت أن كفرًا يُنقص من شعر، ولا أن إيمانًا يزيد فيه» (الصولي، 1937، 172).

وهذه المسألة ليست من ابتداع الصولي، ولكنها مسألة لها أصولها في تاريخ النقد العربي (بكار، 2007) عند ابن أبي عتيق، مثلاً، إذ قال: «لشعر عمر بن أبي ربيعة نوبة في القلب، وعلوق في النفس، ودرك للحاجة ليست لشعر، وما عصي الله جلّ وعزّ بشعر أكثر ممّا عصي بشعر ابن أبي ربيعة» (الأصفهاني، 1986، 1: 117). ومع ذلك فقد طرحها الصولي طرحاً مقنعاً وقدم لهذه الفكرة ما يوازرها ويقويها، فتعلل بأربعة الشعراء الذين أجمع الناس على فضلهم وعلو شأنهم في الشعر، أقصد امرأ القيس والنابغة وزهيراً والأعشى فقال: «ما ضرّ هؤلاء الأربعة... كفرهم في شعرهم، وإنما ضرّهم في أنفسهم. ولا رأينا جريزاً والفرزدق يتقدّمان الأخطل عند من يقدمهما عليه بإيمانها وكفره، وإنما تقدّمهما بالشعر» (الصولي، 1937، 174).

رابعاً: تعصّب الصولي لأبي تمام:

كان الصولي متعصّباً لأبي تمام، وعدّ مذهبه في قول الشعر أجود المذاهب وأفضلها، منبّهاً على سبقه وطول باعه فيه، فقال في رسالته إلى مزاحم مقرّعاً من عاب على أبي تمام: «ومنزلة عائب أبي تمام- وهو رأس في الشعر- مبتدئ لمذهب سلكه كل محسن بعده، فلم يبلغه فيه، حتى قيل: مذهب الطائي، وكل حاذق بعده ينسب إليه ويقفي أثره- منزلة حقيرة يسان عن ذكرها الذم، ويرتفع عنها الوهد» (الصولي، 1937، 37).

وقد أفرد الصولي فصلاً أسماه «في ما روي من معائب أبي تمام» (نفسه، 244)، ورغم أن العنوان يشي أنّ ثمة عيوباً سيذكرها الصولي، إلا أنّه يشي أيضاً بنوع من الإنكار لهذه العيوب، فهو يقول «في ما روي» وكأنه لا يعترف بها ولكن اضطر إلى ذكرها- كما يبدو- تعميقاً لفكرة الإنصاف وعدم التعصّب لأبي تمام. والذي يؤكّد ذلك هو أن هذه العيوب ليست ذات شأن عظيم، وتركها الصولي دون أن يعلق عليها.

ولم يقتصر امتداح الصولي على شعر أبي تمام، بل تعداه إلى شخصه وأسرته وأهله، فافرد لذلك باباً في كتابه «أخبار أبي تمام» أسماه «صفة أبي تمام وأخبار أهله» (نفسه، 259).

ومن قبيل تعصّبه لأبي تمام ما نجده في حديثه في سياق الموازنة بينه وبين البحري،

أبو تمام: هما اللات والعزى وأنا أعبدهما من دون الله منذ ثلاثين سنة. والتمس الصولي العذر لأبي تمام في قوله هذا وقال: إنه أراد أنهما شغلاه عن عبادة الله عز وجل. (انظر: أخبار أبي تمام، ص 713).



فقد بيّن الصولي فضل أبي تمام على البحتري، وأورد روايات يستشهد بها مسندة إلى عدد من أئمة اللغة والأدب، تاركاً هذه الروايات دون تعليق ليوهم القارئ بإنصافه وعدم تعصبه إلى أبي تمام ضد البحتري (حسين، 1975). ومثل هذا الإيهام نجده في غير موضع ولا سيما عندما يمدح البحتري ويضعه في المرتبة الثانية بعد أبي تمام. يقول: «ولا أعرّف أحداً بعد أبي تمام أشعر من البحتري، ولا أغضّ كلاماً، ولا أحسن ديباجاً، ولا أتمّ طبعاً، وهو مستوي الشعر، حلو الألفاظ، ومقبول الكلام» (الصولي، 72-73، 1937).

ويستشهد الصولي برأي للبحتري نفسه يعترف فيه بفضل أبي تمام عليه واحتدائه له. يقول الصولي: حدثني عبد الله بن الحسين قال، «قلت للبحتري: إنك احتديت في شعرك- يعني الذي ذكرناه- أبا تمام، وعملت كما عمل من المعنى، وقد عاب هذا عليك قوم، فقال لي: أيعاب عليّ أن أتبع أبا تمام، وما عملت بيتاً قط حتى أُخِطِرَ شعره ببالي؟» (الصولي، 1937، 70).

هكذا بدا الصولي إزاء أبي تمام شعره وشخصه، نزاعاً إلى مذهبه في الشعر ومتعصباً أحياناً، لكن تعصبه هذا لم يكن تعصباً أعمى- كما بدا لبعض الدارسين والنقاد- بل كان في كثير من الأحيان مسوّغاً له، فقد اجتهد الرجل في تقديم الحجج والبراهين متوسّلاً بالمقاييس حيناً وبالشرح والتفسير والقصدية حيناً آخر، وأظنه كان مُقنعاً في ذلك إلى حد بعيد.

خامساً: ردّه على خصوم أبي تمام:

يتلخّص منهج الصولي في ردّه على من عاب على أبي تمام في ما يأتي (حسين، 1975):

- أ. القياس على أخطاء الشعراء من القدماء والمحدثين.
- ب. الرد على المعائب بالشرح والتوضيح والنقد والتحليل.
- ج. الدفاع عن الأخطاء بكونها لا تقلل من شأن الشاعر.

ففي شأن القياس على أخطاء غيره من القدماء كان يأتي الصولي بالبيت الذي عيب على أبي تمام ويقبضه بأخر لشاعر فحل من القدماء الذين شهد لهم بالإحسان. وقياس الخطأ بالخطأ، كما هو معلوم، ليس بالأمر العلمي ولا بالمسوغ الذي يسوغ للأخريين أخطاءهم، ولكن الصولي أورد ذلك ليدلل على أن مسألة العيب على أبي تمام لم تكن إلا بدافع التعصب والحسد، وإلا لمّ لم يعيبوا على الأقدمين ما عدّوه خطأً وعيباً في حق أبي تمام؟



عمر حسن العامري / محمد عيسى الحوراني (202-223)

ومثال ما أورده في ذلك الشأن ردّه على من عاب على أبي تمام ذكر التين والعنب في قوله:

تسعون ألفاً كأساد الشرى⁽¹⁾ نضجت أعمارهم قبل نضج التين والعنب

فدافع عن هذا البيت بأنه إن كان ذكر التين والعنب مما لا يرد في الشعر فقد ورد في شعر ابن قيس الرقيات الذي قال (الصولي، 1937، 30):

سقىا لخلوان ذي الكروم وما صنّف من تينه ومن عنبه

أما في شأن الرد على المعائب بالشرح والنقد والتحليل، فكان الصولي ينطلق من مبدأ أن هؤلاء الذين يعيبون على أبي تمام شعره لم يفهموه، وأن عيبهم إياه إنما سببه الغموض الذي يكتنف بعض تلك الأبيات، فراح يشرح ويوضح حتى يزيل اللبس ويبين المقصد. لذا نجده يقول: «أما ما حُكي عن بعض العلماء في اجتناب شعره وعيبه،... لأن أشعار الأوائل قد ذللت لهم، وكثرت لها روايتهم، ووجدوا أئمة قد ماشوها⁽²⁾ لهم، وراضوا معانيها، فهم يقرءونها [كذا] سالكين سبيل غيرهم في تفاسيرها، واستجادة جيدها، وعيب رديئها» (الصولي، 1937، 14). فالصولي، كما يبدو، يعول كثيراً على قضية الفهم والقصدية. ومن الأمثلة على ذلك ما يورده في الرد على من عاب على أبي تمام قوله:

لا تسقني ماء الملام فإنني صبّ قد استعذبت ماء بكائي

يقول في شرح البيت وتوضيحه: «وهم يقولون: كلامٌ كثيرُ الماء، وما أكثر ماء شعر الأخطل!... ويقولون: ماء الصبابة، وماء الهوى، يريدون الدمع» (الصولي، 1937، 33 - 34).

أما الأسلوب الأخير الذي استخدمه الصولي في الرد على من عاب شعر أبي تمام فبعده أخطاء أبي تمام أمراً لا يقلل من شأنه. فالصولي يعترف بوقوع أبي تمام في بعض الأخطاء والهتات، مثله، في ذلك، مثل غيره من الشعراء، لذلك نجده يقول: «ولو وهم أبو تمام في بعض شعره، أو قصر في شيء منه، لما كان من ذلك مستحقاً أن يبطل إحسانه» (نفسه، 32).

إن ديدن الصولي في كثير من ردّه على الخصوم هو جعل العيب فيهم لا في الشعر، فخصوم أبي تمام إما أنهم لم يفهموا شعره، وإما أنهم سعوا إلى تئيل الشهرة من خلال الطعن على

(1) الشرى: موضع تنسب إليه الأسد؛ قال بعضهم: هو موضع بعينه تأوي إليه الأسد. (انظر: لسان العرب، مادة «شري»).

(2) ماش المشطر الأرض أي سحاها. والميش هو حلب نصف ما في ضرع الناقة من لبن. (انظر لسان العرب، مادتي: «ماش» و«ميش»).



رجل مثل أبي تمام، لذا نجده يقول على هؤلاء: «إذ كان أحدهم ساقطاً خاملاً ألف في الطعن عليه كتباً واستغوى عليه قومًا، ليعرف بخلاف الناس، وليجري له ذكر في النقص إذ لم يقع له حظ في الزيادة، ومكسب بالخطأ إذ حُرِمَ من جهة الصواب» (نفسه، 28).

ومهما يكن من أمر فإن الصولي لا يرى بأساً في أخذ بعض النقاد والخصوم على أبي تمام، ومجمل رأيه فيه: «أن النقد لا يكون بإبراز بعض العيوب والتشهير بالشاعر من أجلها وإغفال ما له من حسنات كثيرة إزاءها؛ فكيف إذا كانت تلك العيوب مجتابة، ونسبة التقصير إلى الشاعر مفتعلة» (عباس، 1983، 150).

نتيجة:

من خلال ما تقدم، يمكن أن نخرج بالنتائج الآتية:

1. شكّل أبو تمام نقطة تحول في مسيرة الأدب العربي أفضت إلى تثوير الحركة النقدية في القرنين الثالث والرابع الهجريين. فألفت مؤلفات كثيرة في شعر الرجل تباينت وجهاتها تأييداً ومعارضة.
2. يُعدّ ابن المعتز من أوائل النقاد الذين تنبّهوا إلى شعر أبي تمام وما طرأ على هذا الشعر من تحوّل، فكانت مؤلفاته في هذا الشأن منطلقاً لغيره من النقاد الذين خاضوا هذا الغمار.
3. بدت آراء ابن المعتز في شعر أبي تمام متضاربة، فبدا في رسالته «في محاسن شعر أبي تمام ومساوئه» متحاملاً على الرجل. ولعل هذا التحامل بدا لنا لأنه لم يتسنّ لنا الاطلاع على الجزء الآخر من الرسالة، الذي يتحدّث فيه عن محاسن الشاعر، فاقْتصار اطلّاعنا على المساوئ جعلنا نشعر بأن ابن المعتز غمط حق أبي تمام وطمس محاسنه وإبداعاته وقلّل من شأنه. لكن الصحيح أن ابن المعتز كان في رسالته يعلّل ويناقش- بقدر ما يسمح به فضاء النقد آنذاك- وابتعد عن إطلاق الأحكام العامة، وغير المعلّلة إلا في القليل منها حينما كان يحتكم إلى الذوق، حيث لا معيار يمكن التوسل به إلا الذوق، وكان ذوقه في جلّ أحكامه سليماً رغم أنه غير معلل، لأنه- كما يقال- هناك من الأشياء أشياء تحيط بها المعرفة ولا تؤديها الصفة.
4. جاءت محاولات النقاد والدارسين في تعليل هذا التضارب في آراء ابن المعتز غير مقنعة، وهي مسألة تحتاج إلى مزيد بحث وتدقيق. فمن قال إن نقد ابن المعتز لأبي تمام مرّ بمرحلتين لم يقدم لنا الدليل على ذلك، ولم يخبرنا علام



عمر حسن العامري / محمد عيسى الحوراني (202-223)

اعتمد في حكمه هذا؟ هل مجرد التباين في الأحكام يعني أن نقده مرّ بمرحلتين؟ ثم ما الذي جعل ابن المعتز يتحول من لهجة نقدية فاسية ونهج تعليلي في رسالته إلى أحكام عامة ولهجة مجاملة بعد ذلك؟!

أما من شكك في نسبة جزء من الرسالة لابن المعتز وقال إنها لصاحب الموشح معتمداً في ذلك على تغير اللهجة، فقد يكون مصيباً، لكن اللافت أن اللهجة كلها في الرسالة مختلفة عنها في غيرها مما تناول الحديث فيه عن أبي تمام.

5. عاب ابن المعتز على أبي تمام تكلفه وبعد استعاراته وسرقاته... وبدأ في جلّ ذلك محقفاً- على الأقل في بعض الأمثلة التي أوردتها- لكنه لم يكن محقفاً في شأن السرقة، مثلاً، وفي شأن بعض الاستعارات التي عدّها بعيدة.

6. مجمل رأي ابن المعتز بأبي تمام أقرب إلى الإنصاف منه إلى التعصب عليه- كما يتوهم بعض الدارسين- فقد بذل ابن المعتز جهداً كبيراً جداً في سبيل إنصاف الرجل، فهو قد تحدث عن مساوئه ومحاسنه، كما أنه قال إن أبا تمام قد بلغ غايات الإساءة والإحسان، وإذا كانت نماذج الإحسان التي أوردتها ابن المعتز في الرسالة لم تصل إلينا، فهذا ليس ذنبه، ثم إنه امتدحه وأثنى عليه في غير موضع من مؤلفاته الأخرى.

7. أما الصولي، فقد اعتمد في دراسته شعر أبي تمام على المقايضة حيناً، وعلى الشرح والتفسير حيناً آخر. ووظف كل ضرور المعرفة والعلوم التي حازها- وهي متنوعة ومتشعبة- للدفاع عن صاحبه والانتصار له ممن عابوا عليه شعره. وحاول، دائماً، أن يأتي بالحجج والبرهين والأدلة في ردّ التهمة عنه وقد حقق ذلك باقتدار.

8. وقف الصولي موقفاً دفاعياً صريحاً عن أبي تمام، وانبرى بكل طاقاته المعرفية والذوقية والعلمية للدفاع عنه وردّ الطاعنين عليه وعلى شعره.

9. يرى الصولي أن التعصب والحسد، والنزوع إلى القديم دون المحدث، وحب الظهور، وعدم فهم أشعار أبي تمام كانت من جملة الأسباب التي حدثت بكثيرين من عابئي شعر أبي تمام للاجتهاد في تقرّي مساوئه وهنائه، ولم يكن عيبهم هذا لضعف في شعر الرجل أو فساد في ذوقه.

10. يُعدّ الصولي من أنصار الحديث، لكن نصرته للحديث لم تدفعه إلى تعصبه على القديم. بهذا يكون الصولي قد شكّل موقفاً موضوعياً ومتوازناً، فهو لا يعيب القديم لقدمه ولا ينتصر للمحدث لحدثته.



قائمة المصادر والمراجع:

1. إبراهيم، طه أحمد، (د.ت) تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، د.ط، بيروت، دار الحكمة.
2. أدونيس، علي أحمد سعيد، (1983) زمن الشعر، ط3، بيروت، دار العودة.
3. الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، (1986) كتاب الأغاني، تحقيق: سمير جابر، ط2، بيروت، دار الفكر.
4. الأمدى، أبو القاسم الحسن بن بشر يحيى الأمدى البصري، (د.ت) الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وأبي عبادة الوليد بن عبيد البحر الطائي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (د.ط) بيروت، المكتبة العلمية.
5. بكار، يوسف، (2007) حفريات من تراثنا النقدي، ط1، بيروت، دار المنهازل للطباعة والنشر والتوزيع.
6. حسين، صبحي ناصر، (1975) أبو بكر الصولي ناقداً، ط1، بغداد، دار الجاحظ للطباعة والنشر.
7. الربداوي، محمود، (1967) الحركة النقدية حول مذهب أبي تمام- تاريخها وتطورها وأثرها في النقد العربي، ط1، دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر.
8. ابن رشيق القيرواني، (1994) العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، تحقيق: د. محمد قرقزان، ط2، بيروت، دار المعرفة.
9. زكي، أحمد كمال، (د.ت) ابن المعتز العباسي، سلسلة أعلام العرب، ط1، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة.
10. الصولي، أبو بكر محمد بن يحيى، (1937) أخبار أبي تمام، تحقيق: خليل محمود عساكر؛ محمد عبده عزام؛ ط1، نظير الإسلام الهندي، القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
11. عباس، إحسان، (1983) تاريخ النقد الأدبي عند العرب- نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، ط4، بيروت، دار الثقافة.
12. العمري، أحمد جمال، (1973) أبو بكر الصولي- العالم الأديب النديم، ط1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
13. كساب، نعيم (طوني)، (1995)، ابن المعتز- شعره في ضوء عصره وحياته وآرائه النقدية، ط1، بيروت، دار العلم للملايين.
14. مبارك، زكي، (1975)، النثر الفني في القرن الرابع، ط1، بيروت، دار الجيل.
15. المحارب، عبد الله بن حمد، (1992) أبو تمام بين ناقديه قديما وحديثا- دراسة نقدية لمواقف الخصوم والأنصار، ط1، القاهرة، مكتبة الخاتجي.
16. المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران، (1343هـ، 1924م) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، ط1، القاهرة، جمعية نشر الكتب العربية.
17. المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، (1991)، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: أحمد أمين؛ وعبد السلام هارون، ط1، بيروت، دار الجيل.
18. ابن المعتز، عبد الله، (د.ت) طبقات الشعراء، طبقات الشعراء المحدثين، تحقيق عبد الستار فراج، ط1، القاهرة، دار المعارف.



عمر حسن العامري / محمد عيسى الحوراني (202-223)

19. ابن المعتز، عبد الله، (1979)، كتاب البديع، تحقيق: إغناطيوس كراتشوفسكي، ط.1، بغداد، مكتبة المثنى.
20. ابن منظور، محمد بن مكرم الأفرقي المصري، (1988)، لسان العرب المحيط، تحقيق يوسف خياط، ط.1، بيروت، دار الجيل، دار لسان العرب.

ترجمة مصادر ومراجع اللغة العربية: Translated Romanized Arabic References:

1. Ibraheem, Taha Ahmed, (no date). History of Literary Criticism among Arabs from the Pre-Islamic Period to the 4th Century AH, Beirut, Dar al-Hikma.
2. Adonis, Ali Ahmed Said. (1983). The Time of Poetry, (3rd ed.), Beirut, Dar Al-Awda.
3. Al-Asfahani, Abu al-Faraj Ali bin al-Hussein. (1986). The Book of Songs, Realized by Samir Jaber, (2nd ed.), Beirut, Dar al-Fikr.
4. Al-Amadi, Abu al-Qasim al-Hasan bin Beshr Yahya al-Amidi al-Basri. (no date). Comparison between Abi Tammam Habib bin Aws al-Tai and Abi Abadeh al-Waleed bin Obaid al-Bahtari al-Ta'i, realized by Muhammad Mohieddin Abdul Hamid, Beirut: Dar Al-Maktaba Alilmiya.
5. Bakkar, Youssef. (2007). Excavations in our Critical Heritage, (1st ed.). Beirut: Dar Al-Manhahel for printing, publishing and distribution.
6. Hussain, Subhi Nasser. (1975). Abu Bakr Al-Suli as a Critic, (1st ed.), Baghdad: Dar Al-Jahidh for Printing and Publishing.
7. Al-Ridawi, Mahmoud. (1967). The Critical Movement on the Doctrine of Abi Tammam - Its History, Development and Impact On Arab Criticism, (1st ed.), Damascus: Dar al-Fikr for Printing and Publishing.
8. Al-Qayrawani, Ibn Rashiq. (1994). The Reliable Source on the Beauties of Poetry, its Norms and its Criticism, realized by Dr. Mohammed Qarqazan, (2nd ed.), Beirut: Dar al-Maarifah.
9. Zaki, Ahmed Kamal. (no date). Ibn al-Mu'taz al-Abbasi, The Arab Celebrities Series, (1st ed.), Cairo: Egyptian General Establishment.
10. Al-Suli, Abu Bakr Muhammad Bin Yahya. (1937). Abi Tammam News, realized by Khalil Mahmoud Assaker; Mohammed Abdo Azzam; (1st ed.), The Counterpart of Indian Islam, Cairo, Press of the Committee of authoring, translation and publishing.
11. Abbas, Ihsan. (1983). History of Literary Criticism among Arabs: Poetry Criticism from the 2nd Century to the Eighth Century AH, (4th ed.), Beirut: Dar Al-Thaqafa.





أبو تمام بين ابن المعتز وأبي بكر الصولي (202-223)

12. Al-Omari, Ahmed Jamal. (1973). Abu Bakr Al-Suli: The Scholar, the Literary Man and the Companion, (1st ed.) Cairo: the Egyptian General Book Organization.
13. Kassab, Naeem (Toni). (1995), Ibn Al-Mu'taz: his Poetry in the Light of his Era, his Life and his Critical Views, (1st ed.), Beirut: Dra Al'Ilm Lilmalayeen.
14. Mubarak, Zaki. (1975), Prose in the 4th Century, (1st ed.), Beirut: Dar al-Jil.
15. Al-Muharib, Abdullah bin Hamad. (1992). Abu Tammam: his Old and Modern Critics: a Critical Study of the Positions of Opponents and Supporters, (1st ed.), Cairo: Maktabat Al- Khansi.
16. Al-Marzabani, Abu Obeid Allah Muhammad ibn Omran. (1343 AH, 1924 AD). The Terza Rima in the Reproaches of Scholars for Poets, (1st ed.), Cairo: Association of the Publication of Arabic Books.
17. Al-Marzouqi, Abu Ali Ahmed bin Mohammed bin Hassan. (1991). Explanation of the Collection of Al-Hamasa, realized by Ahmed Amin; and Abdul Salam Harun, (1st ed.), Beirut: Dar Al-Jil.
18. Ibn al-Mu'taz, Abdallah. (No date). Classes of Poets, Classes of Modern Poets, realized by Abdul Sattar Faraj, (1st ed.), Cairo: Dar Al Ma'arif.
19. Ibn al-Mu'taz, Abdallah. (1979). The Book of Eloquence, realized by Ignatius Kratschowski, (1st ed.), Baghdad: Muthanna Library.
20. Ibn Mandhoor, Mohamed Ben Makram Al-Ifiqi Al-Masri. (1988). The Comprehensive Tongue of the Arabs, realized by Yusuf Khayat, (1st ed.), Beirut: Dar Al-Jil





عمر حسن العامري / محمد عيسى الحوراني (202-223)

Abu Tammam Between Ibn Al Moataz and Abu Bakr Al-Suli

Omar Hasan Alameri

Kuwait International Law School

City of Kuwait - Kuwait

Mohammad Issa Al-Hourani

College of Education Humanities and Social Sciences - Al Ain University
of Science and Technology

Abu Dhabi - United Arab Emirates

Abstract:

This research aims at introducing Abu Tammam as viewed by two main prominent critics: Ibn Al-Mu'taz and Abu Bakr Al-Souli. Abu Tammam is considered a landmark in ancient Arabic literature which reached its peak during the third and fourth centuries AH. He greatly contributed to the advancement and activation of critical approaches through reexamination and innovation of the standardized form of Arabic poetry that used to be a reliable criterion for accepting or rejecting poetry as good or bad.

Keywords: Abu Tammam, His Doctrine, Ibn AlMutaz, Abu Bakr Bin Yahya Al-Souli.

